
6
قصص المبشرون بالجنة
سلوى العنانى
رجل السخاء والعطاء
دار اللطائف للنشر والتوزيع

رجل السخاء والعطاء

(عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ)

دخل النبيُّ عليه السلامُ (يثرب) مُحاطًا بالتِّرحابِ من أهلِها - الأوسِ والخزرجِ - ومن السابقين من المهاجرين الذين كانوا قد دخلوها قبلَ وصولِ النبيِّ.

وكان من الضروريِّ أن يتمَّ تنظيمُ هذا المجتمعِ حتى تستقرَّ الحياةُ .. فكيف يكون حالُ هؤلاءِ الذين هاجروا مع النبيِّ تاركين أموالَهُم وديارَهُم .. وأحيانا زوجاتِهم ؟ كيف تسيرُ حياتُهم ؟

وتظهر حكمةُ النبيِّ عندما آخى بين المهاجرينَ والأنصارِ ، فالأنصارُ مستقرونَ فى مدينتهم .. لهم بيوتُهم وزوجاتُهم .. لهم زراعتُهم ولهم تجارتُهم .. عندهم الإبلُ والأغنامُ والخيلُ .. فليقتسم كل مسلم من الأنصار ما عنده

من خيرٍ مع مسلمٍ من المهاجرين .. وهكذا تتوكّـدُ الوحدةُ بين عنصرى المجتمعِ الجديدِ، وتزدادُ الأواصرُ تماسكًا ..

آخى النبىُّ بينَ (عبدِ الرحمن بنِ عـوفٍ)، و (سعدِ بـنِ الربيعِ) وكانَ هـذا الأخيرُ مـن أكـثرِ أهـلِ يـثربَ مـالاً .. فعرض على (عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ) أن يقاسِمَهُ فى كـلِّ مـا يملكُ ..

قـال سـعدٌ : أُقاسِمُكَ مـالى نصفـين وأزوِّجك . لكــن (ابن عوفٍ) شكرهُ واعتذر عن عدم قبولِ عرضهِ، وطلـب أن يدلَّه على طريقِ السُّوقِ .. وهنـاكَ اشـترى وبـاعَ وربـحَ وعاش من عملِ يدهِ ..

فمن هو (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) .

هو واحدٌ من السابقين الأولين إلى الإسلامِ، فـهو أحـدُ الثمانيةِ الأوائلِ الذين آمنوا بمحمدٍ نبيا ورسـولاً، وواحـدٌ من الخمسةِ الذين آمنوا على يد أبـى بكـر، وأحدُ الستةِ

أصحابِ الشورى الذين أوْكلَ إليهم الخليفةُ عمرُ بنُ الخطابِ رضى الله عنه أن تكونَ الخلافةُ فيهم مِن بعدِهِ .

عانى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) من اضطهاد قريشٍ وقسوتِها ما عاناه إخوانُه المسلمون الأوائلُ ..

هاجر (ابن عوف) إلى الحبشة مرتين فرارًا بدينه .. ولما عاد لازم النبيَّ حتى هاجر معه إلى (يثربَ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ من بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}

[النساء : 100]

لقد اشترى (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) رضا الله ورسولِهِ وباع تجارتَه التى صادرها مشركو قريشٍ .. وبدأ مرة أخرى من الصفر بعد هجرته إلى المدينةِ ..

توجَّه إلى سوق (بن قَيْنُقاعٍ) وهناك باع واشترى وربح ثم تزوج من عملِ يدِهِ ..

سأله الرسول ﷺ : "تزوجتَ" قال : "نعمْ" .. قال الرسول : "ومَنْ؟" .. قال : "امرأةً من الأنصارِ" .. فسأله النبيُّ "كمْ سُقتَ؟" .. أى كم دفعتَ مهرًا؟؟" .

قال : "نواةً من ذهب" .. قال النبى : "أوْلِمْ ولو بشاة" ..

كان (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تاجرًا ماهرًا ، جعله ذكاؤه يختار الوقتَ والمكانَ المناسبَ دائمًا لتجارته .. فقال عنه البعضُ : إنه إنسان محظوظٌ .. وحتى قال هو عن نفسِه : (لقد رأيتنى ، لو رفعتُ حجرًا ، لوجدتُ تحته فضةً وذهبًا) ..

لكنه الذكاءُ .. والرضا .. والسعيُ الدءوبُ .. والبعدُ عن الاحتكارِ والمضاربةِ .. والاتجاهُ بالعملِ لوجهِ الله عزّ وجلّ ..

حكى عنه معاصروه فقالوا :

- "إذا لم يكن ابنُ عوفٍ فى المسجدِ يصلّى فهو فى غزوةٍ فى سبيلِ اللهِ أو تجارة" .

وكانت قوافله تجوب الشامَ ومصرَ واليمنَ ، ثم تعودُ إلى المدينةِ تحمل الكساءَ والطعامَ وكلّ ما يلزمُ حياةَ الناسِ هُناك ..

سمع (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) يوما رسولَ اللهِ يقول له :

"يا بنَ عوفٍ إنك من الأغنياءِ ، وإنك ستدخلُ الجنةَ حبوًا .. فأقرضْ اللهَ يطلقْ لك قدميكَ" ..

ومن ساعتِها .. و (عبدُ الرحمنِ) يسابق نفْسَهُ فى العطاءِ فيجهِّزُ الحملاتِ العسكرية ويطعمُ الناسَ ..

لم يكن جشعًا ولا طمّاعًا ، بل كان قانعًا راضيًا .. إذا ما أعطاهُ اللهُ خيرا وزّعه على أهلِ (بنى زُهرة) وعلى فقراء المسلمين .. بل أغنيائهم أيضا .

باع (ابنُ عوفٍ) يومًا أرضًا وقبض ثمنها أربعين ألف

دينار .. فماذا يفعلُ بهذا المالِ ؟ .

لقد وزّعه على أهلهِ وعلى فقراءِ المسلمين ، وعلى أمهاتِ المؤمنين .

ولما حضره الموتُ أوصى بخمسين ألف دينارٍ فى سبيل الله ، كما أوصى بأربعمائة دينارٍ لكل من بقى على قيد الحياةِ ممن شهدوا موقعةَ (بدرٍ) ـ وكانوا مائةً ـ يومها ترحم عليه عليٌّ (كرم الله وجهه) وقال :

(اذهب يا بن عوف ، فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها) .

وكان (عثمانُ بنُ عفان) ممن أخذ نصيبَه يومها من هبةِ (ابنِ عوفٍ) رغم ما عرف عنه من الثراء ..

قال (عثمانُ) يوْمَها :

"إن مال (عبد الرحمنِ) حلالٌ صفو ، وإن الطعمةَ منه عافيةٌ وبركةٌ" .

كان عند (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) ثمانيةُ آلافِ درهمٍ فأمسكَ منها أربعةً لنفسه وعيالِه .. وقدم الباقي لله ورسولِه .. فقال له النبيُّ عليه السلامُ :

"بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ" .. ثم نزلتْ الآيةُ الكريمةُ تقول :

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : 267] .

يُروى أن المدينةَ استيقظتْ يومًا على قافلةٍ ضخمةٍ تزحم طُرقاتِها .. وتهزّ جنباتِها .. ولم يكنْ لهذه المدينةِ الهادئةِ عهدٌ بمثلِ هذه القوافلِ الكبيرةِ .. وتساءل الناسُ فيما بينهم فعرفوا أنها تجارةٌ لعبدِ الرحمن بنِ عوفٍ راجعةٌ من الشام ..

وعلمَتْ (عائشةُ) أُمُّ المؤمنين بخبرِ هذه القافلةِ فتذكرتْ قولَ رسولِ الله (يابن عوفٍ إنك من الأغنياءِ وإنك ستدخلُ

الجنة حبوا .. فأقرضْ الله قرضًا حسنًا) ...

وردَّدتْ أمُّ المؤمنين قولَ رسولِ الله فنقل البعضُ حديثَها إلى (عبدِ الرحمن بن عوفٍ) فاتجه لفوره إليها، وقال ..

"لقد ذكرتنى بقولٍ لم أنْسَهُ ..

إنى أشهدك أن هذه القافلةَ بأحمالها وأقتابها وأحلاسها، فى سبيل الله عزَّ وجلّ" ..

وبرّ الرجلُ بما قال ..

وتم توزيعُ حمولةِ القافلةِ كلّها على أهلِ المدينةِ وغيرهم من المسلمين ..

سبعمائةُ بعيرٍ تحملُ من الخيراتِ ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يُحصيَه أو يعدَّه يقدّمها (ابنُ عوفٍ) فى سبيلِ الله ..

لقد تمنى الصحابىُّ الجليلُ أن يدخلَ الجنةَ عَدْوًا كما وعد النبىُّ بذلك غيره من السابقين للإسلامِ فأقرضَ الله قرضا حسنا، وجاد بماله عن طيب خاطرٍ ..

نموذجٌ للسخاءِ والعطاءِ ..

نذر (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) تجارتَه وأرباحَها لله .. فأعطى فى سبيل الله وأطعم الفقراء .. تحرّى الحلالَ وابتعد عن الشبهاتِ فزادتْ تجارتُه وربت ، وبارك الله له فيها ـ وكان فى ماله حقٌّ معلومٌ .. لأهلِه وإخوانه .

لم يكن ثراءُ عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ من الأمورِ التى تجلبُ له السعادةَ أو راحة البالِ .. على العكس كان هذا الثراءُ سببًا فى قلقِهِ الدائمِ .. فقد كان يخشى أن يكونَ هذا الخيرُ العاجل سببًا فى تأجيل خيرِ الآجل .. وهو أحرص على الأخيرِ حرصه على أغلى ما يتمنى .

يروى عن (عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ) أنه جلسَ يوما ليُفطِرَ بعد صيامٍ ..

فلما قُدِّم له الطعامُ بكى وامتنع عن الأكلِ وقال :

"استشهد (مصعبُ بنُ عميرٍ) وهو خيرٌ منّى فكفِّن فى

بردةٍ إن غطّت رأسه بدتْ رجلاه ، وإن غطت رجليه بـدت رأسُه ..

واستشهد (حمزةُ) وهو خيرٌ منّي فلم نجدْ له ما نكفّنُهُ فيـه إلا بردةً ..

ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط وأُعطينا منها ما أُعطينـا ، وإني لأخشى أن نكون قد عُجِّلت لنا حسناتنا" ..

وكان ابن عوف كثيرا ما يبكي ويقول :

"لقد مات رسولُ الله عليه السلامُ وما شبـع هـو وأهـلُ بيته من خبز الشعير .. وما أرانا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا" ..

وكان يخشى دائما أن يكونَ ممن يُقال لهم يومَ القيامة :

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاف : 20] .

... هكذا لم ينس (عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ) الآخرةَ ساعة ابتسمتْ له الدنيا، بل كان دائمَ الذّكر ليومٍ لا ينفعُ فيه إلا العملُ الصالحُ .. زهِدَ عن المناصب وابتعد عنها حتى لا تغريه الحياةُ وتنسيه منهجَه فى الحياةِ ..

العطاءَ .. العطاءَ .. ولأجلِ الله ورسوله ..

لم يكن الجهادُ بالمالِ هو كل جهادِ عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ بل كان جهادُه بالقتال فى سبيلِ الله مشهودًا .

فى غزوة أحدٍ أُصيب ابنُ عوف بعشرين إصابة تركت إحداها فى ساقه عرجا دائما .. كما سقطتْ إحدى ثناياه (أسنانه الأمامية) فتركت عيبًا فى نطقه ..

وأحسبها أوسمةً تلك التى حملها ابنُ عوفٍ فى ساقِه وفى أسنانِه ظلت تُشهد العالمَ على عطاءِ هذا الرجلِ وشجاعته ..

عاش ابنُ عوفٍ حياته قريبا من النبى عليه السلام فلما

قُبِض .. عاش إلى جوار أبـي بكر ثـم عمـرَ بـنِ الخطـابِ واحدًا من مستشاريهما وأصحابِ الرأي معهما .

وقبل أن ينتقل ابـن الخطـابِ إلى جـوار ربـه أوصـى أن تكونَ الخلافةُ من بعدِهِ بين ستةٍ من خيرةِ صحابَة رسولِ الله عليه السلامُ وكانَ (ابنُ عوف) واحدًا منهم .

واتجهت الأنظـارُ أول مـا اتجـهت إليـه .. إلا أنـه قـال .. "والله ، لأن تُؤخذ مدية(*) ، فتوضع فى حلقى ، ثم ينفذ بها إلى الجانبِ الآخر أحبُّ إليَّ من ذلك" .

هكذا رفض (عبدُ الرحمـن بـنُ عـوف) أن يتـولى إمـارةَ المؤمنين بعد (عمر بـنِ الخطـابِ) واعتبرهـا مسـألة قاسـية عليه .. مستبعَدة كل الاستبعاد عن تفكيره .. فهو زاهدٌ فـى المناصبِ راغبٌ عن الخلافةِ .

فلما سمع الإمامُ (عليٌّ) (كرم الله وجهه) منه هذا الرفضَ

(*) المدية : الخنجر الصغير أو المطواة .

قال له : "لقد سمعتُ رسول الله عليه السلامُ يصفك بـأنك أمينٌ فى أهلِ السماءِ ، وأمينٌ فى أهل الأرضِ " ..

وأصر (ابنُ عوفٍ) على رأيه فأوْكل الخمسة الآخرون له مهمة اختيار الخليفةِ .

واختار (ابنُ عوفٍ) من بينهم (عثمانَ بنَ عفان) ليكون خليفةً على المسلمين .. ووافق الجميعُ على رأيِه .

فى العام الثانى والثلاثين للهجرةِ .. جـاد (عبـد الرحمـن بن عوف) بأنفاسه الأخيرةِ .. صعدتْ رُوحه إلى بارئها وهو راضٍ عما قدّم للحياةِ من جهادٍ بالنفسِ والمالِ .

